

صورة الممدوح في شعر ابن دراج القسطلبي

أ/ عبد القادر صحراوي

جامعة منتوري / قسنطينة

تقديم

يرصد هذا البحث صورة الممدوح في القصيدة المدحية لابن دراج القسطلبي الأندلسي.* و لا سيما أن عدد الذين مدحهم الشاعر ابن دراج لا يقل عن تسعة وعشرين ممدوحا. و سعيانا إلى تقديم هذا الشاعر الأمازيغي الأصل الذي لا تقل شهرته عن شهرة أبي الطيب المتنبي باعتزاف القدامى والمحدثين فهذا أبو منصور الثعالبي يقول فيه: "كان بصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام وهو أحد الفحول، وكان يجيد ما ينظم ويقول..."⁽¹⁾.

كما أن حجم هذه القصائد في ديوانه الذي بلغت مائة وثلاث وستون قصيدة و وعدد من المقطوعات جلها في المدح، للدليل على تميز هذا الشاعر وامتلاكه الصدارة بين أقرانه في عصر يعد أوله من أزهى العصور في الأندلس، وهذه الوفرة الشعرية وخاصة في تنوع صورة الممدوح لتعد ظاهرة تسترعي الانتباه وإن اختلفت بعض مقدمات القصائد ومواضيعها، ومن ثم وجب تتبع هذه الظاهرة للقصيدة المدحية في ديوان ابن دراج، وإن كان غرض المدح ليس جديدا على الشعراء الأندلسيين ولكنه انتقل على يد الشاعر ابن دراج من غرض المديح إلى قصيدة المديح فلم يصبح المدح غرضا كالأغراض الأخرى من هجاء وثناء وغيره بل أصبح هو القصيدة بعينها، لهذا أردنا من خلال هذا المقال الوقوف على هذه الظاهرة و الكشف عن تنوع وتعدد صورة الممدوح خلال المرحلتين: مرحلة الدولة العامية ومرحلة الفتنة القرطبية، إذ كان الديوان كله مديحا في أورتين اثنتين كان لهما الأثر الحاسم في توجيه الأحداث باستثناء بعض القصائد الموجهة إلى بعض الأشخاص الذين كان لهم علاقة بأسرة آل عامر زمن الاستقرار وبأسرة آل تجيب زمن الفتنة⁽²⁾.

إن موضوع صورة الممدوح في القصيدة المدحية لابن دراج القسطلبي لم يحظ باهتمام كبير من طرف الباحثين و الدارسين العرب و نظرا لحدائثة تحقيق الديوان من طرف الأستاذ الفاضل محمود علي مكّي _ رحمه الله_.

إذ نجد إشارات هنا وهناك مدرجة ضمن كتب التراجم القديمة، وبعض المؤلفات الحديثة التي اهتمت بهذا الشاعر الأندلسي الأمازيغي الأصول.

وعلى الرغم من ذلك فإن شعر ابن دراج لا يزال بكرا يحتاج إلى دراسات معمقة تؤسس لفترة من أزهي فترات الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتبرز تميز القصيدة الأندلسية في كثير من نواحيها الفنية وإن بقيت الصلة قوية بينها وبين القصيدة المشرقية.

1_ فن المدح في الشعر العربي القديم

أ_ المدح لغة: جاء في (لسان العرب) "لابن منظور": (المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء، يقال: مَدَحْتُهُ مَدْحَةً واحدة، وَمَدَحُهُ يَمْدَحُهُ، مَدْحًا وَمَدْحَةً. هذا قول بعضهم، والصحيح أن المَدْح المصدر و المَدْحَةُ الاسم، و الجمع مَدَحٌ، وهو المَدِيحُ والمَدائِحُ والأَمَادِيحُ. الأخيرة على غير قياس ونظيره حديث وأحاديث، قال أبو ذؤيب:

لَوْ كَانَ مَدْحُهُ حَيٍّ مُنْشِرًا أَحَدًا أَخِي أَبَاكُنَّ - يَا لَيْلَى - الْأَمَادِيحُ

والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مُدِحَ به كالمدحة والأمدوحة، ورجل مَادِحٌ من قوم مُدِحٍ ومديح وممدوح⁽³⁾

وجاء في (أساس البلاغة) للزمخشري: "مدح: مدحه وامتدحه وممدح وممدح، بمدح بكل لسان والعرب تتمدح بالسخاء. وهو يتمدح إلى الناس أي يطلب مدحهم، وعندي مدح حسن ومديح ومدائح ومدحة ومدح وممدحة وأمدوحة وأماديح⁽⁴⁾". ويقول الإمام أحمد بن فارس الرازي: "جذر الفعل (م، د، ح) يدل على وصف محاسن بكلام جميل، ومدحه بمدحه مدحا: أحسن عليه الثناء، والأمدوحة: المدح، ويقال المنقبة أمدوحة"⁽⁵⁾. إذا المدح هو الثناء الجميل ووصف محاسن الممدوح بالكلام الحسن.

ب_ المدح اصطلاحا:

المدح من الأغراض الشعرية القديمة وقد عرف الإمام الجرجاني بقوله: "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا"⁽⁶⁾ وهو أيضا: "تعداد لجميل المزايا، ووصف للشمال الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا"⁽⁷⁾. وعلى حد تعبير قدامه بن جعفر فإن المدح يتفرع عنه المراثي والافتخار والشكر واللفظ في المسألة⁽⁸⁾.

ج_ تطور غرض المدح في الشعر العربي القديم:

المدح غرض من الإغراض الشعرية القديمة التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي إلى اليوم ، إلا أنه لم يكن من فنون الشعر الأولى، لقد تأخر في الوجود عن الأغراض الأخرى التي يتغنى فيها الشاعر بعاطفته الشخصية كالغزل مثلاً.

لقد غلب الفخر على مديح العرب فهم أهل نخوة و إباء، فلا تكاد تجد في شعر المهلهل أو امرئ ألقيس مديحاً مبنياً على التملق و التكسب وتصنع الأخلاق ⁽⁹⁾. وقد ظل الأمر على هذا الحال حتى ضعفت أعصاب البداوة في بعض الشعراء، فهذا زهير بن أبي سلمى يتكسب بشعره مع هرم بن سنان فلما جاء الأعشى جعله متجراً ولكنه تكسب في غير تزلف وكذب على الممدوح، فهو كما قال عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه. ثم ظهر النابغة فتكسب بشعره من المناذرة و الغساسنة و جاء الأعشى بعد زهير والنابغة ⁽¹⁰⁾، وظهر بعدهم الخطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلاله شعره وشرف بيته ⁽¹¹⁾.

لقد كان الشاعر الجاهلي تغلب على طبعه الأنفة من السؤال بالشعر إلا اضطراراً. فهو يرى ذلك نقیصة وتفضلاً عليه وهو الذي عودته الحياة البدوية ألا ينحني ولا يخضع إلا لسلطان ذاته وقبيلته.

أما في صدر الإسلام فقد تطور هذا الغرض وانصبغ بصبغة الإسلام في ألفاظه ومعانيه وأساليبه، وبرز شعراء في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم-، من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك بقصائد خالدة في نصرة الدعوة المحمدية. وقصيدة البردة لكعب بن مالك شاهدة على ذلك وان بقيت هذه الأخيرة محافظة على تقاليد القصيدة العربية الجاهلية. كما مدح شعراء المشركين زعماءهم وأبطالهم مفاخرين ومدافعين عن ارث آبائهم المالك، وهاجين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأنصاره.

وما إن جاء العصر الأموي حتى عادت العصبية القبلية تعلي من شان القبيلة وتفاخر بأمجادها ونسبها. فكثر فيها المديح والهجاء و تحول هذا الأخير إلى فن جديد أصبح يعرف بفن النقائض على يد جرير والفرزدق و الأخطل شاعر بني مروان.

ويروى أن جميل بن معمر لم يمدح أحدا قط إلا ذويه وقرابته . كما يروى أن عمر بن أبي ربيعة ترفع عن المدح والهجاء، وأن العباس بن الأحنف أنف عن المدح تصرفاً ⁽¹²⁾. ويقال أن كثير عزة أول من فعل ذلك، "وقد حكى عن عمارة أن جده جريراً قال: يا بني إذا مدحتهم فلا تطيلوا

المادحة، فإنه ينسي أولها ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتم فخالفوا"⁽¹³⁾. وأما المحدثون من الشعراء فقد أكثروا المديح، وقد جراًهم على ذلك جود الخلفاء ورغبتهم في اصطناعهم. ورغم النقد الذي وجه لهؤلاء الشعراء الذين جعلوا من الشعر أداة للتكسب والارتزاق لما فيه من الكذب وتجميل صورة الممدوح، وبذلك يكون الشعر بعيداً عن الصدق⁽¹⁴⁾. لكنهم لم ينقطعوا عن المدح والتكسب به في سبيل المال والجاه ونيل حضوه الخليفة أو الأمير.

د- فن المدح عند شعراء الأندلس:

لم يختلف شعراء الأندلس عن شعراء المشرق في هذا الفن الشعري فقد "نظموا المدائح وأكثروا منها، حتى لرى بعض كبار شعرائهم من أمثال ابن هاني الأندلسي، وابن دراج القسطلي، وابن حمديس الصقلي، قد خرج معظم شعرهم في المديح"⁽¹⁵⁾. وإن المتتبع لتطور قصيدة المديح في الأندلس "يرى أن معظمها موجه إلى أمراء الأندلس وخلفائهم وملوكهم، وأنها من حيث المضمون أو المحتوى لها جانبان: جانب يريك الصفات التي يخلعها الشعراء على ممدوحهم، وهذه لا تخرج عادة عن الصفات التقليدية التي يطيب للعربي أن يوصف بها، كصفات المروءة والوفاء والكرم والشجاعة، وما أشبه.

أما الجانب الآخر فيدور حول انتصارات الممدوحين التي تعد نصراً للإسلام والمسلمين، ويدخل في ذلك أحياناً وصف جيوشهم ومعاركهم الحربية"⁽¹⁶⁾.

كما يشير ابن عتيق أن شعراء الأندلس يتألقون في مديحهم وينوعون في أساليبهم بين الجزالة والفخامة والرقّة والسهولة. كما أن طرائقهم في بناء القصائد المدحية تختلف من شاعر إلى آخر، فمنه من يبني قصيدته على غرض المدح وحده فيدخل فيه من غير مقدمات، ومنهم من يبينها على موضوعين فيستهلها بالغزل أو وصف للطبيعة أو الخمر أو الشكوى أو العتاب ثم يخرج إلى المدح. ومنهم من يبينها على ثلاثة موضوعات فيستهلها باثنين من الموضوعات السابقة حتى إذا بلغ غايته منهما انتقل إلى المدح.

فهو يرى أن الشاعر الأندلسي ليس مبدعاً في طريقة قصيدة المدح إنما هو يجري في ذلك على سنن الأقدمين فهي تبني من مقدمة طلبية، فنسيب، فوصف للرحلة، فتخلص للمدح.

لقد أشار ابن قتيبة إلى الأسس التي قامت عليها تقاليد قصيدة المدح قديمة، فهو يرى سماعاً عن بعض أهل الأدب أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى

وشكا، وخاطب الربيع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهله الظاعنين عنها، انتجاعا للكلأ وتتبعاً للماء، ومساقط الغيث حيث كان.

ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصباية والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه. لأن التشبيب قريب من النفوس، لا ئط بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد يكون أحد يخلو من أن يكون متعلقا به بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أم حرام.

فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير.

فإذا علم أنه قد أوجب على صاحب المقصود حق الرجاء والتأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح، وفضله على الأشباه.⁽¹⁷⁾

هذه قراءة نفسية واجتماعية لابن قتيبة في تحليله للأسس التي قامت عليها القصيدة المدحية قديما ونراه محققا في ذلك فالممدوح يستحق هذا التقدير وهذا العناء فهو الذي سيغدق على مادحه الخير كله.

إن الشعراء الأندلسيين لا يختلفون كثيرا في بناء القصيدة عن الشعراء المشارقة ولكنهم يتميزون عنهم بنوعية الموضوعات، فالأندلس رغم كونها الامتداد الطبيعي للخلافة الأموية في المشرق ورغم ما شهدته من ازدهار في عهد الدولة العامرية، وخاصة في عهد الحاجب المنصور ومن بعده أبنائه إلا أنها شهدت أحداثا وحروبا وصراعات وفتن عز فيها أقوام وذل آخرون، وعصر ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري شاهد على ذلك.

2- ابن دراج القسطلي :

هو "أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد سلمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلي الشاعر الكاتب. كان كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المقدمين. ذكره أبو منصور الثعالبي في "يتيمة الدهر" وقال في حقه "كان بصقع الأندلس كالمثني بصقع الشام وهو أحد الشعراء الفحول وكان يجيد ما ينظم... وذكره أبو الحسن علي ابن بسام في كتاب "الذخيرة" وساق طرفا من رسائله ونظمه⁽¹⁸⁾، وكتبه أبو عمر⁽¹⁹⁾.

ينحدر ابن دراج من أسرة نبيلة مرموقة الشأن حتى أن بلده قسطله* كانت مرموقة في كتب الجغرافيين باسم (قسطله دراج)، وبنو دراج ينتمون إلى قبيلة صنهاجة البربرية، ويبدو أن دخول هؤلاء إلى الأندلس كان يرجع إلى الوقت الذي افتتح فيه طارق بن زياد هذه البلاد في سنة 92هـ.⁽²⁰⁾

فابن دراج كان ذا نسب عريق، وأن عائلته تداولت على رئاسة بلدة قسطله، والذي يتأمل ديوان ابن دراج دون أن يعرف نسبه البربري لا يكاد يحس فيه بأي أثر لذلك النسب، ولعل هذا راجع في الغالب إلى أن البربر الذين دخلوا الأندلس في الرعيل الأول من فاتحيها المسلمين لم يستقروا في هذه البلاد حتى تأقلموا بسرعة مذهلة، هكذا لم يمض قليل من الوقت حتى اندمجوا في المجتمع الأندلسي اندماجا كاملا.⁽²¹⁾

فابن دراج نشأ أندلسيا وعاش شاعرا محبا للعربية مبدعا في صورها وأخيلتها، ومؤمنا بقدااسة كل ما هو عربي حتى في محنته في عصر ملوك الطوائف. ولمعرفة هذا الشاعر الفذ سنقف على مراحل حياته المتغيرة والتي قسمها الباحث الكبير على محمود مكي -رحمه الله- إلى المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: (347-382هـ)

وهي مرحلة تسبق اتصال الشاعر بالمنصور بن أبي عامر* وهي مرحلة غامضة تفتقد إلى الدقة. ويعتمد محقق الديوان علي محمود مكي على التخمين والظن "وأغلب الظن أن ابن دراج بدا حياته الدراسية تلميذا يتردد على مجالس الشيوخ وحلقاتهم في جيان* لحفظ القرآن والإمام بمبادئ النحو واللغة والأدب والأخبار والأنساب والفقه... ولسنا نستبعد أن يكون ابن دراج وهو في غضاضة الصبا قد قام بعدة رحلات إلى قرطبة ..."⁽²²⁾

المرحلة الثانية: (382-399هـ)

وهي من أزهى الفترات التي عاشها ابن دراج في كنف الدولة العامرية، وأبدع فيها بقصائده المدحية في المنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمان شنجول،* معليا صورة ممدوحيه ومصورا بطولاتهم وشجاعتهم في قهر الفرنجة وقيام دولة الحق والعدل بقصائد نافست فحول الشعراء في القرن الرابع والخامس الهجريين.⁽²³⁾

المرحلة الثالثة: (399-421هـ)

إنها مرحلة نهاية دولة وبداية عصر جديد، عصر الفتن والانقسام عصر ملوك الطوائف، وهنا الشاعر وجد نفسه في رحلة تيه وضياح، بين تلك الدويلات سواء من الموالين للعامريين من بعض الفتيان الصقالية الذين كانت للشاعر علاقة معهم إبان الدولة العامرية كخيران العامري ولييب العامري حاكم طرطوشة ومبارك ومظفر صاحب بلنسية وغيرهم من القادة والأمراء الأمويين من أمثال سليمان المستعين بالله والمهدي محمد بن عبد الجبار والمرتضى آخر كلوك بني مروان، ولكنه وجد الجفاء واللامبالاة من طرف هؤلاء الأمراء وقد صور ابن بسام هذه الوفادات حين قال: "كان القسطلبي -حسب ما قدمنا صدر هذا الديوان- من فتنة ذلك الزمان بمنشأ ليلها، وعلى مدرج سيلها، فأوثقت في حبالها، وعركته عرك عرك الرحي بثقالها، ولم يزل يتقلب بين أطباقها، ويتشف أسار ثمادها وأرناقها، فكم له من وفادة أخرى من وفادة البرجمي، ووسيلة أضيع من المصحف في بيت الزنديق الأمي، بقصائد لو مدح الزمان لما جار أو رواها الزيرقان" (24)

المرحلة الأخيرة:

والتي قضى فيها الشاعر ما يقارب العشر سنوات في بلاط منذر التجيبي وابنه يحي مادحا ومصورا لأحداث هذه المرحلة ومخلدا لماثر الأسرة التجيبيية، وقد كتب فيها ما يقارب الثلث من إنتاجه الشعري أي سبعة وأربعين قصيدة.

إن الشاعر بن دراج القسطلبي شاعر الأندلس بلا منازع باعتراف القدامى والمحدثين وقد أكسبته تجربته الشعرية حنكة ونبوغا في قول الشعر فصار متنبئ الأندلس بلا منازع، وهذا أبو حيان يقول فيه: "أبو عمر بن دراج القسطلبي سباق حلبة الشعراء العامريين وخاتمة محسني أهل الأندلس أجمعين" (25).

3_ القصيدة المدحية في ديوان بن دراج القسطلبي:

سنعتمد في إبراز ظاهرة المدحة التي تحولت من غرض المدح إلى قصيدة بأكملها في ديوان ابن دراج القسطلبي، تحقيق الدكتور محمود علي مكي -رحمه الله-. من خلال مرحلتين متميزتين هما المرحلة العامرية والمرحلة التجيبيية والجدولان الآتيان يبينان نسبة القصائد المدحية وأهم وأشهر الممدوحين فيهما:

الممدوح	القصائد المدحية
المنصور بن أبي عامر: وهو الممدوح الأول لابن دراج وخصه وابنيه بثلاث شعره (3/1)	1,3,4,77,78,99,100,101 102,103,105 إلى 120
المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر	من 5 إلى 12 79,104,130,135,121, و 122,123,124,126,
الناصر عبد الرحمان بن المنصور بن أبي عامر (شنجول)	128
المؤمن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن أبي عامر: ابن شنجول	143,145
الوزير عيسى بن سعيد: وزير العامريين	23,24

منذر بن يحيى التجيبي: أمير سرقسطة اتصل به الشاعر سنة 408هـ وقضى ما يقارب عشر سنوات في بلاطه وبلاط ابنه وقد بلغ شعره الثلاث في التجيبيين (3/1)	من 39 إلى 57 و 75,82,129,139 و 142,143,148, ومن 151 إلى 154 و 157,159.
المظفر يحيى بن منذر بن يحيى (منذر الثاني) و هو ابن منذر الأول تولى إمارة سرقسطة بعد والده.	من 59 إلى 74,92,93,95 و 96,98,137,141, و 146,56

من الجداولين السابقين نخلص إلى أن جل شعر ابن دراج في الأسرتين العامرية والتجيبية، ومع ذلك نجد للشاعر قصائدا يمدح فيها بعض ملوك الطوائف كخيران العامري وغيرهم، بل امتد مدحه إلى قادة الجيش وأصحاب الشرطة وغيرهم.

4_صورة الممدوح في شعر ابن دراج:

إليك الجدول الآتي الذي يرصد صورة الممدوح في بعض قصائد الديوان للشاعر ابن دراج القسطلبي وقد اعتمدنا هذا الجدول لتمكين القارئ من رصد هذه الظاهرة البارزة في جل الديوان :

رقم القصيدة	الآيات	الممدوح	صورته
01	33-جواد له من بمجة العر غرة ومن شيم الفضل المبين حجول 34-به أمن الإسلام شرقا ومغربا وغالت غوايات الضلالة غول 35-يصول بسيف الله غنا وانما به السيف في ضنك المقام يصول(26)	يصور ابن دراج الأمير المنصور بن أبي عامر أنه جواد، حامي الإسلام، سيف من سيوف الله المسلولة.	

يهنئ الشاعر المنصور على عوائده الجميلة فهو الكريم ابن الكريم ورث المجد كابر عن كابر. وهو العابد التقى الصائم. فهذه الأبيات تجسد صورة المجد والعزة والتقوى في شخص الممدوح.	المنصور بن أبي عامر	50- فيهنك يا منصور مبدأ أنعم عوائد صنع لديك جميل 51- وفرعان من دوح الشاء نمتها من المجد في الترب الزكي أصول 52- عقيبان بين الحرب والملك دولة وعز مدال منهما ومديل 53- مليكان عم السالم الحرب منهما غني وغناء مبرم وسحيل 54- ويهنك شهر عند ذي العرش شاهد بأنك بر بالصيام وصول 55- فوفيت أجر الصابرين ولا عدا مساعيك فوز عاجل وقبول (27)	01
صورة الكرم والمجد والنسب العريق فهو سليل الحميريين		43- بني اليك اليوم عني فاتحا عزائم كف العامري مداها 44- فحطت بمغنى الجود والمجد رحلها والقت بربع المكرمات عصاها 45- لدى ملك احدى لواظظ طرفه بعين الرضا حسب المني وكفاها 46- هو الحاجب المنصور والملك الذي سعى فتعالى جده فتناهي 47- سليل الملوك الصيد من سرو حمير توسط في الاحساب ستمك ذراها 52- ذو الملك والتيجان والغمر التي جدير بما التيجان أن تتباهي (28)	03
صورة القائد الذي يقهر الأعداء ويذهم.		49- وفل عني أحزاب العدى ملك معود أن يفل الجحفل اللجا 50- ويترك الملك الجبار مختلعا عنه رداء العلا والعز مستلبا 51- مجدلا بجنوب الأرض منعفرا ومشعرا بنجيع الجوف مختضبا (29)	100

صورة الواقعة الحربية المتنوعة الألوان ب : -صورة الفارس -صورة الليث -صورة "ليون" المدمرة -صورة النصر	المنصور بن أبي عامر	16- يا قائد الخيل العتاق كأنما عزماته أرماحها وشفارها 17- ليث يخاطر في المكر بنفسه هم عظيم في العلا أخطارها 18- وأطأت أرض المشركين كتائنا فيها وشيك فناؤها ودمارها 19- وتركت أرض "ليون" وهي كأنها لم تغن بالأمس القريب ديارها 20- مرفوعة لك في العلا أعلامها لما غدت بك عافيا أثارها (30)	111
صورة المجاهد في سبيل الله، المؤيد بالنصر والهازم للشرك والمشركين. الكريم الذي لا يوفي كرمه شكر ولا ثناء. فهو الجواد في السلم وشديد البأس في الحرب، فهو البحر في جوده وغضبه.	عبد الملك بن المنصور ابن أبي عامر	5- ألا في سبيل الله عزمك التي على الدين والإسلامي منهما دلائل 6- فقد نطقت بالنصر فيها شواهد وقد وضحت للفتح منها مخائل 7- فأبشر فنجم الدين بالسعد طالع وأيقن فنجم الشرك بالخزي أفل 14- كرمت فما يعيا بمحمدك مفحم وسدت فما يعي بقدرك جاهل 15- وجودك في سلم وبأسك في وغى بجور طوام ما هن سواحل (31)	07
صورة القائد الذي انتهى اليه السلطان والقوة. وصورة الاستواء على العرش (الناج، السرير). فهو حامي الدولة العامرية بسيفه، ورافع الظلم عن أهلها. ولا عجب في ذلك فهو		4- فلا أوحشت من عز ذكرك دولة إليك انتهى مأمورها وأميرها 5- فما راق إلا في جبينك تاجها ولا قر إلا إذا حواك سريرها 6- فلا راعها خطب وسيفك أنسها ولا رامها ضيم وأنت مجيرها 7- ومن ذا يناوبها وأنت أميرها ومن نسلك الزاكي الكريم وزيرها؟ 8- فتى طالعه بالسعود نجومها وطارت له باليمن فينا طيورها 9- أذل له "عبد المليك" ملوكها وأنجبه المنصور فهو نصيرها (32)	07

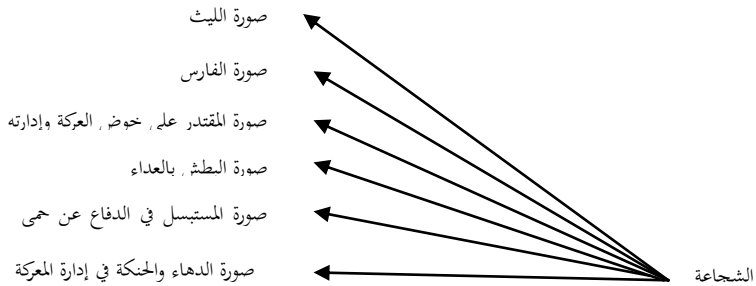
09	8-وأشجع من حطته الخيول وأهيب من رهبته الأسود 9-وأصمد من جريته السيوف وأجل من ظللته البنود 10-ومن هو للملك سور منيع ومن هو للدين ركن مشيد(33)		صور الشجاعة المتلون بصورة الفارس المهيب المجرى والأجل وهو يرفع رايات النصر. صورة الملك رافع راية الإسلام.
39	58-ومشاهد لك لم تكن أيامها ظنا يريب ولا حديثا يفتري 59-لا قيت فيها الموت أسود أدهما فذعرتة بالسيف أبيض أحمر 62-"المنذر"الأعداء بالبشرى لنا صدقت صفاتك منذرا ومبشرا 63-ما صور الإيمان في قلب إمري حتى يراك الله فيه مصورا (34)	منذر بن يحيى	صورة الأيام الشاهدة على شجاعة وبطولة منذر بن يحيى الذي واجه الموت فهزمه، هو المنذر للأعداء المبشر بالنصر،هو صورة الإيمان في قلوب المؤمنين. فمنذر بن يحيى هو صورة المجاهد الحق في سبيل الإسلام.
59	5-وملكا وتليكا وفلجا وغبطة وعزا وإعازا ونصرا وتمكينا 6-دعاء لمن عزت به دعوة الهدى يقول له الإسلام :آمين آمينا 7-فتى ملك الدنيا فملكنا بها وجاهد عنا ينصر الملك والدنيا 8-فقلد أعناق الأسود أساودا وحلى أكف الدارعين ثعابيننا (35)	المظفر بن المنصور	صورة الملك المعتر بملكه، الممكن بنصره، فالمظفر بن المنصور فتى عز به الإسلام والمسلمين في دينهم ودنياهم. فشجاعته تجاوزت الوصف والخيال فهو مروض الأسود والثعابين..

5-وناديت بالأنعام في الأرض فالتقت بيميناك أشتات الطرائق والسبل 6-وحلت بك الآمال في عدد الدي فوافت أياد منك في عدد الرمل(36)	الوزير عيسى بن سعد	صورة الرجل الكريم صاحب اليد الطولي وصورة الآمال المعلقة عليه.
33 44-فتى سيفه للدين أمن وإيمان ويماناه للآمال روح وربحان 45-تقلد سيف الله فينا بحقه فبرت عهود بالوفاء وإيمان(37)	خيران العامري	صورة الفتى الشجاع ناصر الدين صورة الفتى الكريم المعطاء.

تنوعت صور الممدوح من قصيدة إلى أخرى، وتفنن الشاعر في إخراج معانيها بصور متعددة، مما زاد في ثراء القصائد وجمالها، ومن هذه الصور نجد: الشجاعة، الكرم، الواقعة الحربية، الخلف الصالح، المجد، إقامة شعائر الدين، العدل، الجهاد... فصورة الشجاعة مثلاً هي إحدى الصور المتواترة في الديوان أخرجها الشاعر في عدة أوجه فالشجاعة تارة اقتدار على خوض الحروب وهي بطش بالأعداء وهي استبسال في الدفاع وهي دهاء في قيادة المعركة وحنكة في المواقف الصعبة فكل معنى من هذه المعاني يندرج ضمن المعنى الأشمل وهو الشجاعة.

أما من حيث أهمية هذه الصور فإن الشجاعة كانت الأكثر حضوراً في القصائد المدحية لابن دراج،

وهكذا تجلت صورة الشجاعة عند ابن دراج بصور متنوعة ومختلفة توضحها الخطاطة الآتية:



أما الكرم فهو سحابة ممطرة على الشاعر بن دراج وهو اليد ممدودة العليا وهو الإغداق بل حدود على الأضياف وهو سقي الأرض العطشى، أرض الشاعر التي أنبتت شعرا يؤتي أكله كل حين بإذن ربه.

والمجد صورة لتلك المناقب العظيمة التي ورثها الممدوح عن أجداده وصوة للنسب العريق الضارب في التاريخ.

كما أن صورة الممدوح قد أخرجها الشاعر في صورة دينية كتنقوى الممدوح وورعه، وحماية الدين ورافع لواء الجهاد.

كما ساهم ابن دراج في تسجيل عدة وقائع حربية خاضها ممدوحه، ورسم لنا لوحة متعددة الألوان تنعكس عليها كل الأطراف المادية و المعنوية المشاركة في تلك الواقعة. فتصوير الواقعة الحربية هو تصوير لدور الممدوح في الحرب و الحالة النفسية للعدو و أحداث القتال ووصف أدوات الحرب ووصف الجند ثم التبشير بالنصر وتهنئة الممدوح بذلك.

وما نلاحظه أن صور الممدوح فيه ما هو جاهلي وما هو إسلامي فمن المعاني الجاهلية في وصف الممدوح الشجاعة الكرم... ومن المعاني الإسلامية الجهاد وإقامة الدين وقد حاول بن دراج أن ينزل هذه المعني والصور منزلتها الأندلسية الخاصة.

ونخلص في بحثنا هذا إلى جملة من النتائج منها: أن الشاعر بن دراج القسطلبي الأمازيغي الأصل شاعر فذ تجاوز شعره حدود شخصيته، ولا سيما أنه عاش فترتين متناقضتين مرحلة انتصارات القائد العظيم المنصور ابن أبي عامر ومرحلة الفتنة القرطبية وتيه الشاعر ورحلته بين فتيان بني عامر وغيرهم حتى استقر به الحال عند يحيى التجيبي الذي مدحه هو الآخر بثلاث شعره. وقد خلد الشاعر هتين الفترتين بقصائد لو مدح الزمان لما جار أو رواها الزبرقان على حد قول ابن بسام.

إن القصيدة المدحية بدت متميزة في معانيها ومواضيعها و أساليبها ومعجمها اللغوي، كما أن صورة الممدوح -وهو مقصدنا في هذا البحث- قد تنوعت وتفاوتت من ممدوح إلى آخر و من قصيدة إلى أخرى وجاءت متعددة الألوان والاشكال مما يدل على براعة وحذاقة ابن دراج القسطلبي.. كما أن شعره المدحي ما زال يطرح قضايا نقدية كثيرة منها قضية التأثير بين المشرق والمغرب وقد أثبت ابن دراج -رحمه الله- قدرته على مجازاة المشاركة بل منافستهم ومنافحتهم.

الهوامش:

*- ابن دراج القسطلبي: هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن أحمد سلمان بن عيسى بن دراج الأندلسي القسطلبي الشاعر الكاتب. كان كاتب المنصور ابن أبي عامر وشاعره وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين.

(مراجعة ترجمة ابن دراج وأخباره . جذوة المقتبس ترجمة 186 . الثعالبي : يتيمة الدهر : 103/2-116 . ابن بسام الذخيرة ق 59-103,351,353,376,450,889 . ابن بشكوال : الصلة ترجمة 77 . ينظر: مقدمة الديوان ، تحقيق وتقدم : محمود علي مكّي، ط1، دمشق: منشورات المكتب الإسلامي، 1961م . ص 21، وط2 . الكويت: منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2004م، ص8)

1. الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل . يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: النيسابوري

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة، ج 1م، 104/2، 1956.

2. ينظر: المصطفى المحضر، ابن دراج القسطلبي الأندلسي - بين الانتصار والانكسار - ط 1 مراكش: المطبعة الوراقية الوطنية، 2010م ص9.

3. ابن منظور: لسان العرب - مادة م. د. ح - ط 1، بيروت دار صادر ج 6 ص 27 \ 1997م.

4. الزمخشري (محمود بن عمر): أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود- طبع دار المعرفة - بيروت - د. ت - ص 324.

5. القزويني، أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون. دار الفكر 1979م ج 5/ص 308.

6. الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد . كتاب التعريفات. ط 1. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية ، 1983. ص 297

7. جبر عبد النور: المعجم الأدبي. ط 2. بيروت: طبع دار العلم للملايين، 1984م. ص 245.

8. ينظر: قدامة بن جعفر: نقد النثر. طبعة القاهرة، 1983. ص 81.

9. ينظر: عتيق، عبد العزيز. الأدب العربي في الأندلس. (د. ط). بيروت، لبنان: دار النهضة العربية، (د. ت). ص 183.

10. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

11. ينظر: ابن رشيق، أبي علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - باب التكسب بالشعر والأنفة منه - تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط 1. بيروت: المكتبة العصرية، 2001م. ج 1. ص 69، 72.

12. ينظر: عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص184.
13. ابن رشيقي القيرواني، مصدر سابق، ص148.
14. ينظر: عبد العزيز عتيق مرجع سابق، ص184.
15. المرجع نفسه، ص185.
16. المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
17. ابن قتيبة، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف. ج1 ص74، 75.
18. بن حلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (681_608هـ) تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ج1، ص135. وديوان ابن دراج القسطلي، مصدر سابق، ط2، ص8.
19. مقدمة الديوان، ط2، ص8.
- *قسطلة: قرية في غرب الأندلس، هذا ما ذهب اليه الحميري، أما موقعها فهي القرية الداخلة في حدود حدود البرتغال والتي تسمى (cacella) من أعمال منطقة (Algavre). مقدمة الديوان، ص14.
20. المصدر نفسه، ص9.
21. المصدر نفسه، ص10.
- *المنصور بن عامر: هو الملك الأعظم المنصور بن أبي عامر محمد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر ابن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري من قرية تركش، وعبد الملك جده هو الوافد من الأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب. وقال في المطمح في حقي بن أبي عامر: انه تفرس في بلاد الشرك أعظم تفرس ومحام من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس وغادرهم صرعى البقاع و تركهم أذل من وتد بقاع ووالى على بلادهم الوقائع وسدد إلى أكبادهم سهام الفجائع وأغص بالحمام أرواحهم ونغص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم). (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب تأليف الشيخ احمد بن المقرئ التلمساني حققه: د إحسان عباس ج1 دار صادر بيروت 1988م) ص ص: 392، 403..
22. المصدر نفسه، ص19، 20.
- *شنجول: هو عبد الرحمان بن المنصور بن ابي عامر، أخ عبد الملك المظفر. وشنجول اسم جاء من قبل امه عبد بنت شنجة النصراني. البيان لبن عذارى: 83/3.
23. ابن دراج القسطلي. بين الانتصار والانكسار. مرجع سابق. ص72.

24. ابن بسام الشنتري، أبي الحسن علي. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس. لبنان: دار الثقافة، 1997م. ق3، ج1، ص10-11.
25. المصدر نفسه ق1، ج1 ص60.
26. القسطلبي، ابن دراج. الديوان ط2. مصدر سابق. ص78.
27. المصدر نفسه، ص80.
28. المصدر نفسه، ص86، 87.
29. المصدر نفسه، ص501.
30. المصدر نفسه، ص550.
31. المصدر نفسه، ص94، 95.
32. المصدر نفسه، ص96.
33. المصدر نفسه، ص102، 101.
34. المصدر نفسه، ص219.
35. المصدر نفسه، ص349.
36. المصدر نفسه، ص123.
37. المصدر نفسه، ص177.